Journal Of the Iraqia University (74-7) November (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

جدلية المعرفة والسلطة في حديقة الأرامل مقاربة سيميائية لشخصيات ضياء الجبيلي

ستار جبار ظاهر

طالب الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شيراز، شيراز، إيران

دانش محمدي ركعتي

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شيراز، شيراز، إيران

The Dialectic of Knowledge and Power in The Garden of Widows: A Semiotic Approach to the Characters of Diaa Al-Jubeili

Satttar Jabbar Dhahir
PhD Candidate, Department of Arabic Language and Literature, Shiraz University, Shiraz, Iran
Danesh Mohammadi Rakati
Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Shiraz University, Shiraz, Iran
(Corresponding Author)
d.mohammadi64@shirazu.ac.ir

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل البنية السيميائية للشخصيات في قصة "حديقة الأرامل" للقاص العراقي ضياء الجبيلي، انطلاقا من إشكالية تتمثل في الحاجة إلى الكشف عن الأبعاد الدلالية والثقافية الكامنة في تشكيل الشخصيات السردية. وتسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها تحليل النظام العلامي للشخصيات الرئيسية، وفك الشفرات الرمزية التي تحملها، ورصد الآليات السيميائية التي يوظفها الكاتب في تحويل الشخصيات إلى أنظمة دلالية تعبر عن هموم الواقع العراقي. وتعتمد الدراسة المنهج السيميائي في تحليلها، مستفيدة من أطر غريماس في تحليل المسار السردي، مع الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي.وقد توصلت الدراسة إلى نتائج مهمة، أبرزها أن الشخصيات في القصة تشكل نظاما علاميا متكاملا يحمل دلالات ثقافية واجتماعية عميقة، حيث مثلت شخصية آدم رمزاً للوعي المقهور، وشخصية الأم تجسيداً لازدواجية النظام الأبوي، وشخصية زوريا تمثيلا للاستعمار الثقافي. كما كشفت الدراسة عن الآليات السيميائية التي اعتمدها الجبيلي، وأبرزها التناص الحواري والانزياح الأسطوري وتحول الرموز، والتي ساهمت في تحويل الشخصيات إلى رموز ثقافية قادرة على تشريح الواقع العراقي بكل تعقيداته.**الكلمات المفتاحية:** السيميائية، الشخصية القصصية، حديقة الأرامل، ضياء الجبيلي، التحليل السردي.

Abstract

This study aims to analyze the semiotic structure of the characters in the story "The Garden of Widows" by the Iraqi writer Diaa Al-Jubeili. It stems from the central problem of the need to uncover the deep semantic and cultural dimensions embedded within the construction of the narrative characters. The study seeks to achieve a set of objectives, most notably analyzing the sign system of the main characters, deciphering the symbolic codes they carry, and identifying the semiotic mechanisms employed by the author to transform the characters into semantic systems that express the concerns of Iraqi reality. The study adopts a semiotic approach for its analysis, utilizing Greimans' frameworks for analyzing the narrative trajectory, supplemented by the descriptive-analytical method.The study has reached significant results, most notably that the characters in the story form an integrated sign system carrying profound cultural and social significations. The character of Adam represented a symbol of

oppressed consciousness, the mother embodied the duality of the patriarchal system, and the character of Zorba represented cultural colonialism. The study also revealed the key semiotic mechanisms employed by Al-Jubeili, namely dialogic intertextuality, mythical displacement, and the transformation of symbols, which contributed to turning the characters into cultural symbols capable of dissecting the complexities of Iraqi reality.**Keywords**: Semiotics, Fictional Character, The Garden of Widows, Diaa Al-Jubeili, Narrative Analysis.

المقدمة

يُعدّ ضياء الجبيلي أحد الأصوات السردية البارزة في المشهد الأدبي العراقي والعربي، حيث استطاع من خلال أعماله المتنوعة التي حظيت بتقدير نقدي واسع وجوائز مرموقة، أن يقدم رؤية فنية متميزة للواقع العراقي بكل تعقيداته. وُلد الجبيلي عام ١٩٧٧، وتميزت أعماله بتصوير صادق لآلام العراق وأزماته، مع تركيز خاص على ظاهرة التهميش متعدد الأوجه الذي تفاقم بسبب عوامل الفقر والفساد السياسي وتداعيات الحروب المتتالية (عبد الرحمن، ٢٠٢١). في هذا السياق، تأتي مجموعة "حديقة الأرامل" القصصية لتشكل نموذجا إبداعيا يستحق الدراسة والتحليل، خاصة من حيث البناء السيميائي للشخصيات الذي يظل مجالا بحاجة إلى بحث معمق على الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت أعمال الجبيلي.تشير الدراسات السابقة إلى اهتمام الباحثين بأعمال الجبيلي من زوايا متعددة، فقد ركز المنصوري (٢٠٢٠) على الجوانب الفنية والموضوعية في أعماله، مبرزا أن البصرة تمثل الفضاء الجغرافي الحصري في كتاباته، كما أن العجائبية والغرائبية تعدان من السمات الجوهرية في منجزه الإبداعي. أما رحم فضل (٢٠٢٢) فقد تناولت في رسالتها للماجستير موضوع التهميش في روايات الجبيلي بعد عام ٢٠٠٣، مستنتجة أن كتاباته تعكس الواقع العراقي بشكل نقدي وتتجاوز التكرار الفني، حيث فككت السلطة والهوية عبر منظور مركب. وفي دراسة أحدث، بحث عبد الكريم (٢٠٢٥) الوظائف الثقافية في "سردية الهامش" برواية "ساق الفرس" للجبيلي، مسلطا الضوء على كيفية تشكيل هذه الوظائف من خلال الشخصيات والعلاقات السردية. كما كتبت عن الجبيلي مقالات نقدية عديدة على المواقع الإلكترونية، منها دراسة عبدالله (٢٠١٧) النقدية لرواية "المشطور" التي حللت الكيفية التي قدم بها الجبيلي الواقع الطائفي والجغرافي العراقي باستخدام عناصر الفانتازيا والغموض. وفي مجال التحليل السيميائي للشخصيات، توجد دراسات عربية سابقة مثل دراسة بوشعيب وبوطمينة (٢٠٢٢) التي حللت "سيمياء الشخصية في رواية "يا مريم" لـ سنان أنطون"، ودراسة سابق (٢٠٢٠) التي بحثت سيمياء الشخصية في روايات عز الدين جلاوجي، مؤكدة على أن الشخصية تُدرس بوصفها دالا ومدلولا كونها علامة سيميائية محورية في البناء السردي في ضوء هذه الدراسات السابقة، تبرز الحاجة إلى دراسة سيميائية متخصصة لشخصيات مجموعة "حديقة الأرامل" القصصية، حيث تنطلق هذه الدراسة من إشكالية تتعلق بفهم الآليات السيميائية التي ينظم من خلالها الجبيلي عوالمه الشخصياتية، وكيفية تحويل الشخصيات إلى أنظمة علامية تحمل دلالات ثقافية واجتماعية عميقة. وتهدف الدراسة إلى تحليل البنية السيميائية للشخصيات الرئيسية في المجموعة، والكشف عن الدلالات الرمزية والثقافية الكامنة في تشكيلها، ورصد آليات توظيف الشخصية كعلامة سيميائية في الخطاب السردي. وتعتمد في منهجيتها على المنهج السيميائي في تحليل الشخصيات، مستفيدة من أطر غريماس في تحليل المسار السردي، مع الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي. وتنطلق الدراسة من سؤالين رئيسيين: كيف تشكل الشخصية في "حديقة الأرامل" نظاما علاميا يحمل دلالات ثقافية واجتماعية؟وما الآليات السيميائية التي يوظفها الجبيلي في بناء الشخصيات وتحويلها إلى رموز ثقافية؟ وتهدف من خلال الإجابة عن هذه الأسئلة إلى سد ثغرة في الدراسات السابقة، والإسهام في تقديم قراءة سيميائية شاملة لشخصيات المجموعة، تكشف عن الأبعاد الدلالية العميقة التي تجعل من الشخصيات رموزا ثقافية تعبر عن هموم الواقع العراقي وتطلعاته.

الإطار النظري

الشخصية الروائية: الكينونة السردية وتجليات الوجود تمثل الشخصية الروائية نواة التشكيل السردي وعصب الحياة في النص الأدبي، فهي ليست مجرد عنصر سردي تقليدي، بل كينونة وجودية تنبثق منها الأصوات وتتشكل عبر تعقيدات الوجود الإنساني. فمن خلال الشخصية تدب الحياة في عوالم النص الخيالية، وتتحول إلى مرآة عاكسة للواقع بكل تناقضاته. هذه الكينونة الروائية تشكل جسرا عبوريا يربط بين القارئ والعالم التخييلي، ما يجعلها غاية فنية تسمو على مجرد كونها أداة سردية. (هينكل، ٢٠٠٥: ١٧٧)تتعدد الرؤى النقدية في تناول الشخصية الروائية، فبينما ينظر إليها التقليديون كامتداد للواقع ونسخة طبق الأصل عنه، يراها الاجتماعيون تجسيدا للأنماط الطبقية والتحولات المجتمعية. في المقابل، يذهب المنظور النفسي والرمزي إلى اعتبارها مرآة للذات الإنسانية وكاشفة عن أعماق النفس. هذا التباين في التناول يؤكد أن تمثيل الشخصية يتشكل وفقا لتنوع الرؤى واختلاف الخلفيات الثقافية، ما يجعلها كائنا متعدد الأبعاد لا يمكن حصره في إطار واحد. (مرتاض، ١٩٩٨: ٨٣)**السيميائية: علم الدلالات وفك شفرات النص** تنطلق السيميائية من كونها "علم الإشارات العام" الذي تتخذ من الألسنية أساسا لها، كما يرى جاكوبسون (تشاندلر، ٢٠٠٨:

٣٨). هذا المنظور الشامل يجعل من السيميائية علما يدرس كل ما يحمل دلالة، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية. ويؤكد جيرو (٢٠١٦: ٥) هذا التوجه عبر تركيزه على "الأنساق غير اللغوية"، ما يوسع دائرة الدراسة لتشمل كل العلامات الحاملة للمعنى.في التحليل السيميائي للسرد، يقسم غريماس المسار السردي إلى بنية سيميائية سردية وأخرى خطابية، تتفرع الأولى إلى بنية عميقة تمثل المعنى الكامن، وبنية سطحية تمثل المظهر السردي الظاهر (العابد، ٢٠٠٩: ٣٤). هذا التقسيم المتدرج يمكن المحلل من تفكيك النص إلى طبقات دلالية متعددة، للوصول إلى المعاني الخفية والعلاقات العميقة التي تشكل البنية الدلالية للنص.تتعامل السيميائية مع الشخصية الروائية كعلامة دلالية تكتسب معناها من خلال تفاعل مكوناتها النصية. فالشخصية – وفق هذا المنظور – تشكل نظاما علاميا مستقلا، يمكن تحليله وفك شفراته من خلال دراسة العناصر المكونة لها: الاسم، الصفات، السياق، والعلاقات. وهذا ما يجعل الشخصية تميل نحو المنحى اللغوي، حيث تصبح بمثابة نص داخل النص، تحمل في طياتها شبكة معقدة من الدلالات والإيحاءات. (عبد الغني، ٢٠٢٤: ٥)**رؤية نقدية لمجموعة حديقة الأرامل** تُقدّم مجموعة "حديقة الأرامل" للقاص ضياء جبيلي رؤية فنية لتأويل الواقع العراقي من خلال توظيف التقنية الغرائبية والعجائبية، حيث تعتمد القصص على خلق عوالم متخيّلة تخرق المنطق السببي التقليدي للوصول إلى حقائق الواقع الاجتماعي والنفسي. وتكمن قوة هذه المجموعة في استخدامها للتناص مع روائع الأدب العالمي مثل "زوربا" لكازنتزاكي و"البحث عن الزمن المفقود" لبروست، ما يخلق حوارا بين النص الحاضر والنصوص الغائبة لإنتاج دلالات جديدة. (عبد علي حسن، ٢٠١٧)يبرز التحليل كيف تتحول العناصر الغرائبية إلى أدوات كاشفة للواقع، ففي قصة "عمر الورد" تصبح الدموع المعطرة سلعة تكشف عن استغلال البراءة، وفي "حديقة الأرامل" يتحول ظهور زوربا من الرواية إلى تعبير عن الحرمان العاطفي للأرامل. كما تنجح المجموعة في تقديم تأويلات عميقة لقضايا إنسانية مثل ضياع الزمن واستغلال المرأة والحرمان العاطفي، ما يجعل الغرائبي سمة جمالية مميزة للسرد القصصي العراقي المعاصر. (المصدر نفسه، ٢٠١٧)تُعد هذه المجموعة محاولة جريئة لأنسنة الواقع العراقي من خلال معالجة قضايا الهوية والإنسان في ظل الحروب والتحولات الاجتماعية. تعتمد المجموعة على رؤية أدبية مزدوجة تزاوج بين الواقعي والغرائبي، مستخدمة تقنيات سردية متطورة مثل القفز الزمني والتناص مع الأدب العالمي. تبرز المجموعة أزمة الهوية كمحور رئيسي، حيث تتجلى في نصوص مثل "محنة الجندي حميد" التي تعكس التمزق بين الذات والوطن، و"ذروق التنين" التي تقدم سردا ساخرا لضياع الهوية تحت وطأة الأنظمة الشمولية. (احمد عواد الخزاعي، ٢٠١٧)تمتاز المجموعة بحضور ثقافة المكان والزمن كعناصر فاعلة في تشكيل الوعي الجمعي، حيث تتحول الحدائق والبيوت إلى فضاءات رمزية تعبر عن الواقع المأزوم. من خلال نصوص مثل "حديقة الأرامل" و"نجوم الظهيرة"، تنجح المجموعة في كشف الزيف الاجتماعي وطرح أسئلة وجودية جريئة حول مصير الإنسان العراقي. يعيد القاص صياغة الواقع بلغة سهلة ذات إيقاع ثابت، محولا التراجيديا الإنسانية إلى أعمال فنية تحمل أبعادا سريالية وجدليات عميقة تضع القارئ أمام مرآة واقعه المشرذم. (المصدر نفسه، ٢٠١٧)تُقدّم مجموعة "حديقة الأرامل" نموذجا متميزا للفانتازيا الواقعية، حيث تدمج بين العالم الواقعي والعناصر الغرائبية لمعالجة قضايا إنسانية عميقة. ففي قصة "محنة الجندي حميد" تتحول الجثث في ساحة المعركة إلى رمز لعبثية الحروب، لينتهي النص بمناقشة حول هوية هيكل عظمي، ما يكشف عن استهتار الأنظمة السياسية بحياة الإنسان. (حسن السلمان، ٢٠٢١)تتجاوز الفانتازيا في المجموعة كونها مجرد عنصر تشويقي، لتصبح أداة تحليلية نفسية واجتماعية. ففي "الذكرى السنوية" يتحول الشارع إلى فضاء للذاكرة الجريحة، بينما تقدم "العش" تشريحا لمعاناة الإنسان المعاصر مع الوحدة والعزلة. هذه المعالجات الفنية تثبت أن الفانتازيا الواقعية ليست هروبا من الواقع، بل هي وسيلة لفهمه بشكل أعمق من خلال خلق عوالم موازية تكشف عن الحقائق الخفية للوجود الإنساني. (المصدر نفسه، ٢٠٢١)**خلاصة لقصة "حديقة الأرامل"** تدور القصة حول الفتى آدم، ذي الأربعة عشر ربيعا، الذي يعيش وحيدا مع أمه الأرملة في علاقة تتسم بالصراع. شغف آدم الوحيد هو القراءة، بينما تمقت أمه الكتب وتعتبرها مصدرا للفساد والرذيلة، ولا تفرق في كرهها بين كتاب أدبي ومجلة خليعة. بل وتتمتع بحاسة شم قوية، كالكلب، تمكنها من العثور على أي كتاب يخفيه ابنها وتقوم على الفور بإحراقه.يبدأ الصراع عندما يهرب آدم رواية "المسخ" لفرانز كافكا من مكتبة المدرسة ويقرأها سرا. وعندما تكتشف الأم الأمر، تغضب بشدة وتذهب إلى المدرسة لتعنّف المشرف. ومنذ تلك الحادثة، تمنع ابنها منعا باتا من إدخال أي كتاب إلى البيت.اضطر آدم للاحتيال، فقام بتبديل غلاف رواية جديدة بغلاف كتاب ديني ليخدع أمه. لكنه، وعندما بدأ بقراءتها ليلا، أصيب بالذعر من محتواها الذي تصوّر أمه في أوضاع حميمة مع رجل غريب. خاف على سمعة أمه أكثر من خوفه من غضبها، فقرر التخلص من الرواية. بعد تفكير، وجد أن الحل الآمن هو دفن الرواية في حديقة البيت.بعد ثلاثة أسابيع، لاحظ آدم أن فطرا غريبا قد نما في المكان الذي دفن فيه الرواية. لم يكن الفطر عاديا، بل بدأ يكبر بسرعة ويأخذ شكلا بشريا. تحوّل الفطر إلى رجل يونانيكامل، له لحية، ويعزف على آلة السانتوري، ويدعى زوريا.الصدمة كانت عندما انقلبت موازين القوى في البيت. فبدلا من أن تطرد الأم هذا الكائن الغريب، انجذبت إليه بشدة وأبدت حرصا مفرطا على رعايته والدفاع عنه. حتى أنها هددت ابنها بأن سحقه مثل ذبابة إذا اقترب من "رجلها".

انتقل زوريا إلى غرفة النوم مع الأم الأرملة، تاركا آدم في حالة من الغيظ والعجز، خائفا من مواجهة هذا الرجل القوي وخائفا من الفضيحة.لم تستطع الأم الأرملة كتمان سرّها، فأخبرت إحدى صديقاتها الأرامل عن الرجل العجيب الذي ظهر في حديقتها. سرعان ما انتشر الخبر كالنار في الهشيم بين جميع الأرامل في الحي، اللاتي تكثرن بسبب الحروب المتعاقبة.وفي غضون أيام، تحولت حديقة البيت الصغيرة إلى مكان تغص بالأرامل اللواتي يلبسن السواد، يأتين على أمل أن يظهر لهن "زوريا" خاص بهن. وتنتهي القصة بمشهد آدم وهو ينظر إلى الحديقة المليئة بالأرامل، ويقول متذمرا ومتعجبا: "يا إلهي! كم زوربا نحتاج لحديقة سوداء من الأرامل؟"!

تعريف مختصر بشخصيات قصة "حديقة الأرامل":

١. آدم: فتى مراهق عاشق للقراءة، يعيش في صراع مع أمه بسبب شغفه بالكتب.

٢. الأم الأرملة:امرأة متسلطة تكره الكتب وتعتبرها مصدرا للرذيلة، تتحول فجأة إلى امرأة مغرمة ومستعدة للتخلي عن كل شيء من أجل رجل غريب.

٣. زوريا:رجل يوناني غامض يخرج من الأرض في الحديقة، يعزف على السانتوري ويجذب النساء الأرامل.

٤. مشرف المكتبة:رجل متحفظ يفرض رقابته على الكتب في مكتبة المدرسة ويمنع الطلاب من قراءة ما يعتبره غير مناسب.

٥. صديقة الأم:امرأة ثرثارة لا تستطيع كتمان الأسرار، تنقل خبر الرجل الغريب إلى جميع الأرامل في الحي.

٦. نساء الحي الأرامل:مجموعة من النساء اللواتي فقدن أزواجهن بسبب الحروب، يتجمعن في الحديقة على أمل العثور على رجل لهن.

التحليل السيميائي للشخصيات في القصة

شخصية "آدم"

١. آدم بوصفه "رمز المعرفة والوعي":الاسم "آدم" يحمل دلالة أبوية البشرية، ما يرمز لبداية جديدة ووعي مختلف.علاقته بالكتب تمثل صراع المعرفة ضد الجهل. فالأم تمثل النظام التقليدي الرافض للمعرفة، بينما يمثل آدم المثقف المضطهد."كان يحب القراءة. يدخر مصروفه، وأحيانا يسرق، ليؤثر ثمن الكتب التي تكرهها أمه وتعتبرها مصدر المجون." (الصفحة ٣٧)"بدأ اهتمام آدم بالكتب منذ فترة مبكرة... عندما كان في الصف الخامس الإبتدائي" (الصفحة ٣٧).

٢. **جسد آدم بوصفه "موقع الصراع"**:عجزه عن النهوض بعد القراءة يعكس التغير الوجودي الذي تمر به الشخصية تحت وطأة المعرفة المحرمة."وعندما أراد النهوض لم يستطع. في صباح اليوم التالي، حملت الأم الأرملة رواية كافكا وذهبت إلى مدرسة آدم." (الصفحة ٣٨)حركة الدفن والاختباء تشير إلى الجسد المكبوت في مواجهة سلطة الأم."فاضطر آدم إلى الاحتيال عليها وذلك بتهريب ما يحصل عليه من كتب إلى الداخل، وقراءتها خلسة." (الصفحة ٣٩)

٣. **آدم والفضاءات الدلالية**:الغرفة: فضاء المقاومة السرية حيث يخبئ الكتب ويمارس حريته."قراءتها خلسة، قبل أن تتناهى رائحة الورق والأفكار إلى خياشم تلك الأم الفطنة." (الصفحة ٣٩)الحديقة: فضاء التحول من الخاص (حديقة البيت) إلى العام (حديقة الأرامل)، وهي المكان الذي يدفن فيه سرّه (الرواية) فيتسبب دون قصد في تحول جذري."هرع إلى الحديقة، تناول رفشا وحفر بين أوراق الريحان المزروعة حفرة صغيرة لكنها عميقة، وضع الرواية فيها وأهال عليها التراب." (الصفحة ٤٠)

٤. **آدم في مواجهة الرموز** – الأم: تمثل السلطة الأبوية المستترة رغم كونها أنثى. فهي مصدر المنع والرقابة."منذ ذلك اليوم والأم الأرملة تمنع ابنها من إدخال الكتب، أيّا كان محتواها، إلى البيت." (الصفحة ٣٩)الأرامل: تمثل المجتمع المغلق الذي يبحث عن خلاص وهمي، وآدم هو الضحية البريئة لتحول بيته إلى ملاذ لهن."حين رأى آدم هذا المشهد تأفف متذمرا: يا إلهي! كم زوربا نحتاج لحديقة سوداء من الأرامل؟!" (الصفحة ٤٣)

٥. **التحول السيميائي لعلاقة آدم بالكتب**:تتحول الكتب من شيء محظور إلى عامل تحول درامي يقلب عالمه رأسا على عقب بظهور زوريا. "وها هو الآن يفكر بطريقة تساعده على التخلص من زوريا اليوناني، الذي يكره الكتب ولايروقه سوى النوم مع النساء الأرامل" (الصفحة ٤٢)

٦. **آدم كضحية للصراع بين المعرفة والخرافة**:– المفارقة العميقة:الأم ترفض الكتب (المعرفة) لكنها تقبل بالخرافة (زوريا) التي أنتجتها تلك الكتب، ما يجعل آدم ضحية لهذا التناقض."ابتعاد عن رجلي يا ولد!" ... "حسنا.. الآن صار رجلها وليس فطرها!" قال آدم في نفسه." (الصفحة ٤١)"فكبح غيضه، ولعق جرحه، وكتم السر." (الصفحة ٤٢) – هذه العبارة تختزل مأساة آدم واضطراره إلى كبت مشاعره الحقيقية.

شخصية الأم الأرملة

١. **الأم بوصفها "رمز السلطة المزدوجة":**- تجمع بين سلطة الأمومة وسلطة الأرملة التي تحتكر مفهوم "الشرف" والفضيلة."كان آدم ذو الأعوام الأربعة عشر وحيد أمه الأرملة."` (الصفحة ٣٧)"ردت الأم الغاضبة الموشحة بالسواد"` (الصفحة ٣٩) حيث يعكس السواد ليس فقط الحداد بل أيضا تشددها الأخلاقي.

٢. **الحرب على المعرفة (الكتب) كتعويض عن فقدان الأنثوي:**تحول غياب الزوج إلى حرب على الرموز الذكورية الأخرى (الكتب) التي تراها تهدد سلطتها."تكرهها أمه وتعتبرها مصدر المجون. ولا تفرق بينها وبين المجلات الخليعة."` (الصفحة ٣٧)"فقد كانت تكافح وجود الكتب في بيتها كما تفعل ذلك مع الفئران والجرذان والوزغ."` (الصفحة ٣٩)

٣. **التحول من الأم-المحاربة إلى الأنثى-المتيمة:**- تتحول من امرأة متسلطة إلى أنثى ضعيفة أمام الرجل (زوريا)، ما يكشف عن تناقضها"كان نمو ذلك الفطر يزداد يوما إثر يوم ويزداد معه اهتمام الأم الأرملة التي أبدت حرصا غريبا ومفرطا في سبيل رعايته"` (الصفحة ٤١)"ابتعد عن رجلي يا ولد!"` (الصفحة ٤١) – حيث تظهر التملك والانحياز الكامل للرجل الجديد.

٤. **الجسد الأنثوي المكبوت والمنطلق:**تعود أنوثتها المكبوتة للظهور فجأة مع ظهور زوريا، متجاهلة كل المبادئ التي دافعت عنها."انصرف الرجل... مع المرأة الأرملة إلى مخدعها في داخل البيت، وكل واحد منهما يتابط ذراع الآخر."` (الصفحة ٤٢)

٥. **الأرملة كحلقة في سلسلة النظام الأبوي:**رغم كونها أنثى، إلا أنها أداة لإعادة إنتاج القيم الأبوية عبر منع المعرفة وفرض الرقابة."رفض المشرف على المكتبة ذلك، متذرعا أن مثل هذه الكتب كالسموم، يجب أن تحفظ بعيدا عن متناول الأطفال."` (الصفحة ٣٧) – حيث تتحالف مع سلطة المدرسة في القمع.

٦. **الأرملة كظاهرة اجتماعية:**تحول بيتها إلى "حديقة أرامل" يعكس تحولها من فرد إلى جزء من ظاهرة جماعية."السر الذي لم تحافظ عليه الأم الأرملة. فالنساء الثرثارات مثلها كالطيور عندما تزن على خراب أعشاشها."` (الصفحة ٤٣)"تحولت حديقة البيت إلى مساحة تغص بالنساء الأرامل المتجلببات بالسواد."` (الصفحة ٤٣)

شخصية زوريا: التناص مع "زوربا اليوناني" والرمزية الثقافية

١. التناص كأداة سيميائية رئيسية:الإحالة المباشرة: الاقتباس في بداية القصة – "`كتبك تلك أبصق عليها، فليس كل ما هو موجود، موجود في كتبك" (زوربا- نيكوس كازنتزاكي)` (الصفحة ٣٧) – يربط القصة منذ البداية بعالم زوربا الروائي، ما يخلق توقعا لدى القارئ ويمنح الشخصية بُعدا أسطوريا.التناص التواصلي: الكاتب يقدم لنا "زوربا" في لعبة على الاسم تؤكد على أنه نسخة مشوهة أو محرفة من الأسطورة الأصلية. إنه ليس زوربا الحكيم، بل هو شبحه الذي ينبت في تربة غريبة.

٢. **زوريا القوة الجسدية مقابل العقل**زوربا اليوناني الأصلي يجمع بين القوة الجسدية والحكمة الفلسفية. أما "زوريا" في هذه القصة، فقد احتفظ بالقوة البدنية فقط ("`"" مقاتل عتيد، خاض الحروب الشرسة وعرك الحياة بأضراسه – الصفحة ٤٢) لكنه خسر الحكمة وتحول إلى كائن شهواني. هذا تحذير من كيفية استيراد أسوأ ما في الثقافة وليس أفضل ما فيها.

٣. **صراع نمطين من المعرفة:**- المعرفة العقلانية (الكتب) مقابل المعرفة البدائية / الشهوانية (زوربا)." وها هو الآن يفكر بطريقة تساعده على التخلص من روربا اليوناني، الذي يكره ا لكتب ولايروقه سوى النوم مع النساء الأرامل" (الصفحة ٤٢).آدم يمثل المحاولة الفردية لاكتساب المعرفة عبر الكتب (العقل).زوربا يمثل المعرفة البدائية التي تظهر فجأة وكأنها "معجزة"، وهي معرفة جسدية، لحظية، ومدمرة. إنها صورة كاريكاتورية لروح زوربا الحرة التي تحولت إلى مجرد غريزة.المجتمع (النساء الأرامل) يرفض الأول ويستسلم للثاني لأنه أسهل ولا يتطلب جهدا فكريا.

٤. **زوريا كمرآة لعيوب المجتمع:**

ظهوره ليس سبب الأزمة، بل هو نتيجة لها. المجتمع الذي يمنع المعرفة العقلانية (حرق الكتب) يخلق فراغا روحيا وثقافيا يملؤه بأوهام وخطابات جاهزة (زوربا)."تحولت حديقة البيت إلى مساحة تغص بالنساء الأرامل المتجلببات بالسواد."` (الصفحة ٤٣). زوريا لم يخلق الأرامل، لكنه كشف عن حجم الحاجة العاطفية والثقافية لديهن، والتي استغلها.

٥. **الانزياح الأسطوري:**تحويل "زوربا" من بحار يوناني شغوف بالحياة إلى فطر ينمو في حديقة هو عملية "تفتيت" للأسطورة. إنه يقول: عندما تنتقل الرموز الثقافية إلى بيئة غير أصلها، قد تتحول إلى طفيليات."فطر غريب أشبه بإبهام مقطوع"` (الصفحة ٤٠). البداية نفسها مشوهة وغير مكتملة، ترمز إلى استحالة نقل النموذج الثقافي بكامل نقائه.

شخصية مشرف المكتبة المدرسية

١. **رمز السلطة المعرفية المزيفة:**يمثل الشكل الرسمي للسلطة الثقافية التي تتحكم في بوابة المعرفة وتفرض رقابتها."عندما أراد آدم استعارتها، رفض المشرف على المكتبة ذلك، متذرعا أن مثل هذه الكتب كالسموم، يجب أن تحفظ بعيدا عن متناول الأطفال."` (الصفحة ٣٨)

٢. **الازدواجية بين المعرفة والقمع:**يعمل في مكتبة لكنه يحارب حرية المعرفة، ما يجعله تجسيدا للتناقض في المؤسسة التعليمية."وكان الكتاب عبارة عن رواية حملت عنوانا لافتا أثار فضول الفتى الصغير: المسخ!"` (الصفحة ٣٧) – ما يؤكد أن السبب الحقيقي للرفض هو "لفت" الانتباه وليس المحتوى.

٣. **سلطة التجهيل والتحقير:**يستخدم أسلوب التحقير والسخرية لتثبيط الفضول الفكري، ما يكرس عقلية التبعية الفكرية."وماذا تحسب نفسك يا ولد! أن بلوغك العاشرة من عمرك يجعلك مؤهلا لقراءة مثل هذه الأشياء المحيقة؟"` (الصفحة ٣٧)"ستجد فيها من الفساء ما يملأ مؤخرتك أيها الشيطان الصغير!"` (الصفحة ٣٨) – حيث يحول النقاش الأدبي إلى شتيمة جسدية.

٤. **التحالف غير المعلن مع الأم:**يمثل امتدادا لسلطة الأم خارج البيت، حيث يتشاركان في نفس الخطاب المناهض للمعرفة."في صباح اليوم التالي، حملت الأم الأرملة رواية كافكا وذهبت إلى مدرسة آدم. كانت غاضبة، وقد عزمت أمرها على صفع المشرف."` (الصفحة ٣٨)

٥. **الرمزية الدينية المتطرفة:**يقترح كتبا بديلة (ألف ليلة وليلة) تحت ستار الدين، لكن بأسلوب يحول النص الديني إلى أداة للقمع."وينصحه بقراءة ألف ليلة وليلة"` (الصفحة ٣٨)

٦. **الجبن والتردد تحت الضغط:**يظهر جبانا عندما تواجهه الأم، ما يكشف زيف سلطته وهشاشة موقفه."وكان المشرف يقف أمامها، مرتعدا، خائفا بينما هو يسألها: هل تحول ابنك إلى صر صار؟!"` (الصفحة ٣٨)

شخصية صديقة الأم

١. رمز القنطرة الاجتماعية والفضاء الانتقالي:تمثل الحلقة الواصلة بين الخاص (سر الأسرة) والعام (مجتمع الحي)، ما يحول السر الفردي إلى ظاهرة جماعية."السر الذي لم تحافظ عليه الأم الأرملة. فالنساء الثرثارات مثلها كالطيور عندما تزن على خراب أعشاشها."` (الصفحة ٤٣)

٢. **آلية نقل الشائعة وتضخيم الظاهرة:**– تعمل كوسيط إعلامي بدائي ينقل الخبر ويضخمه، محولة الحادثة الفردية إلى أسطورة جماعية.

"فقد وشوشت به لإحدى صديقاتها، وكانت أرملة أيضا. فوشت هذه السر لباقي النساء الأرامل في الحي"` (الصفحة ٤٣)

٣. **التجسيد الأنثوي للرغبة الجماعية:**– ليست مجرد ناقلة للخبر، بل تعبير عن حاجة جماعية خفية لدى جميع الأرامل للخلاص والبحث عن معجزة."وما أكثرهن في ظل الحروب المتعاقبة."` (الصفحة ٤٣) – ما يربط ظهورها بالسياق الاجتماعي التاريخي.

٤. **الأداة غير الواعية للتحول الدرامي:**دورها الحاسم في تحول مسار القصة من دراما عائلية إلى ظاهرة اجتماعية، دون أن تدرك عواقب فعلها.

"وفي غضون أيام، تحولت حديقة البيت إلى مساحة تغص بالنساء الأرامل المتجلببات بالسواد."` (الصفحة ٤٣)

٥. **الاستمرارية للبطلة الرئيسية:**تمثل نسخة طبق الأصل عن الأم الأرملة، ما يؤكد أن الظاهرة ليست فردية بل هي نمط متكرر في المجتمع.

"وكانت أرملة أيضا"` (الصفحة ٤٣) – التوكيد على المشاركة في نفس حالة الحرمان.

٦. **الغرائزية واللاعقلانية في التعامل:**تتعامل مع السر الأسري بمنطق القطيع لا بالمنطق العقلاني، ما يعكس ثقافة المجتمع الشفوية.

"كالطيور عندما تزن على خراب أعشاشها"` (الصفحة ٤٣) – في إشارة إلى السلوك الغريزي غير المسؤول.

شخصية النساء الأرامل (الجماعة)

١. **رمز الضياع الاجتماعي والفراغ العاطفي:**تمثلن الوجه الجماعي للأم الأرملة، لكن بدرجة أعمق من الضياع واليأس."وما أكثرهن في ظل الحروب المتعاقبة."` (الصفحة ٤٣) ما يربط ظهورهن مباشرة بالسياق السياسي والاجتماعي.

٢. **الجسد الجماعي الملبس بالسواد:**اللون الأسود ليس مجرد حداد، بل هو تعبير عن موت الرغبة والحياة، وتحول الأنوثة إلى كائنات سلبية.

"النساء الأرامل المتجلببات بالسواد."` (الصفحة ٤٣) – حيث يصبح السواد زيا موحدا يمحو الفردية.

٣. **القطيع الباحث عن خلاص وهمي:**يتحركن ككتلة واحدة بلا إرادة فردية، ما يعكس ثقافة القطيع في المجتمعات المغلقة."تحولت حديقة البيت إلى مساحة تغص بالنساء الأرامل"` (الصفحة ٤٣) – كلمة "تغص" توحي بالكثافة العديمة الهوية.

٤. **الضحايا والجلادات في آن واحد:**هن ضحايا الحروب وفقدان الأزواج، لكنهن يتحولن إلى غزاة يغتصبن الفضاء الخاص (الحديقة)"كم زوربا نحتاج لحديقة سوداء من الأرامل؟!"` (الصفحة ٤٣) – حيث يظهر آدم كضحية لاجتياحهن.

٥. **الرمزية العددية للكارثة الاجتماعية:**– تكاثرهن ليس مجرد تفصيل، بل هو إشارة إلى تفشي الظاهرة كمرض اجتماعي

"وما أكثرهن"` (الصفحة ٤٣) – التعبير يعكس حدة الظاهرة واستفحالها.

٦. **الصوت الصامت للمأساة الوطنية:**يمثلن الصمت الإجباري للمرأة في مجتمع ذكوري، والنتيجة البشرية المأساوية للحروب."في ظل الحروب المتعاقبة"` (الصفحة ٤٣) – حيث يتحولن من ضحايا مباشرات للحرب إلى ضحايا لنظام اجتماعي قمعي.

النتيجة

من خلال التحليل السيميائي لشخصيات قصة "حديقة الأرامل"، يمكن الخلوص إلى أن القاص ضياء جبيلي قد استطاع بناء نظام علامي متكامل، تجسد من خلاله رؤيته النقدية للواقع الاجتماعي والثقافي العراقي. فمن خلال الإجابة عن السؤالين الرئيسيين للدراسة، يتضح أن الشخصيات في القصة تشكل نظاما علاميا يحمل دلالات ثقافية واجتماعية عميقة، حيث وظف الجبيلي آليات سيميائية متطورة في بنائها وتحويلها إلى رموز ثقافية.فشخصية آدم تمثل نموذجا للوعي المقهور، حيث تجسد صراع المعرفة ضد الجهل، وتكشف عن مأساة المثقف في مجتمع يرفض العقلانية. فمن خلال تتبع التحول السيميائي لعلاقته بالكتب، نجد أنها تتحول من مجرد رغبة في المعرفة إلى أداة للتحرر، ثم إلى عامل للتحول الدرامي الذي يقلب عالمه رأسا على عقب. وقد ظهر هذا جليا في مشهد دفن الرواية الذي مثل لحظة تحول في البنية السردية، حيث تتحول المعرفة المكبوتة إلى قوة غريبية تتفجر في واقع الأسرة.أما شخصية الأم الأرملة فتكشف عن التناقض العميق في البنية الاجتماعية، حيث تجسد ازدواجية النظام الأبوي الذي تكرره المرأة رغم كونها ضحيته. فتحولها من حارسة للفضيلة إلى أنثى مغرمة يكشف عن هشاشة المنظومة الأخلاقية التي تدافع عنها. وقد مثل ظهور زوريا لحظة انكشاف لهذا التناقض، حيث ترفض المعرفة العقلانية لكنها تستسلم للخرافة.وتكمن براعة الجبيلي في توظيفه لشخصية زوريا كعلامة سيميائية مركبة، حيث يمثل التقاء عدة دولالات: فهو من ناحية تجسيد للرغبة المكبوتة، ومن ناحية أخرى رمز للاستعمار الثقافي، حيث يقدم صورة مشوهة لأسطورة زوربا الأصلية. وقد نجح الكاتب من خلال هذه الشخصية في كشف آلية استيراد النماذج الثقافية بشكل مشوه، وكيف تتحول الرموز الثقافية إلى طفيليات في بيئة غير أصلها.أما الشخصيات الثانوية فتشكل معا نسيجا علاميا مكثفا، حيث يمثل مشرف المكتبة سلطة المعرفة المزيفة، وتمثل صديقة الأم آلية الانتشار الاجتماعي للخرافة، وتمثل النساء الأرامل الوجه الجمعي للمأساة الوطنية. وقد شكلت هذه الشخصيات معا نظاما دلاليا متكاملا، يكشف عن تشابك العلاقات بين الفردي والجماعي، والخاص والعام.من خلال هذا التحليل، تتجلى إجابة السؤال الثاني حول الآليات السيميائية التي وظفها الجبيلي، حيث اعتمد على:

١. التناص الحواري مع النصوص العالمية، وتحويلها إلى أدوات سيميائية

٢. التحول الدرامي للرموز من خلال تحويل الشخصيات إلى أنظمة علامية ديناميكية

٣. توظيف الفضاءات كعناصر دلالية فاعلة في تشكيل المعنى

٤. الانزياح الأسطوري من خلال تفكيك الرموز الثقافية وإعادة تركيبها

هذه الآليات مجتمعة جعلت من الشخصيات في "حديقة الأرامل" ليست مجرد كائنات سردية، بل أنظمة علامية معقدة، تحمل في طياتها تشريحا دقيقا للواقع العراقي بكل تناقضاته. وقد نجح الجبيلي من خلال هذا البناء السيميائي المحكم في تقديم رؤية نقدية عميقة، تكشف عن آليات تشكل الوعي الجمعي في مجتمع منكوب بالحروب والتناقضات.وهكذا، يمكن القول إن قصة "حديقة الأرامل" تمثل نموذجا متميزا للسرد العلامي، حيث تتحول الشخصيات إلى رموز ثقافية تحمل رؤية نقدية للمجتمع، وتكشف عن الأبعاد الفلسفية للوجود الإنساني في ظل ظروف اجتماعية وسياسية معقدة. وهذا ما يجعل من هذه القصة نموذجا إبداعيا يستحق الدراسة والتحليل، ليس فقط لأبعادها الفنية، بل أيضا لقدرتها على تشريح الواقع وفك شفراته الثقافية والاجتماعية.

المصادر

بوشعيب، فطيمة الزهرة، وبوطمينة، مريم. (٢٠٢٢). سيمياء الشخصية في رواية "يا مريم" لـ سنان أنطون – أنموذجا – مذكرة ماستر، جامعة محمد الصديق بن يحيى، الجزائر.

تشاندلر، دانيال. (٢٠٠٨). أسس السيميائية، ترجمة: طلال وهبة، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

جبيلي، ضياء. (٢٠١٧). حديقة الأرامل، الطبعة الأولى، بغداد: سطور.

جيرو، بيير. (٢٠١٦). دراسة الأنساق السيميائية غير اللغوية، ترجمة: منذر عياشي، سورية: دار نينوى للدراسات والنشر.

حسين، السيد. (٢٠٢٠، ٦ يناير) .العراقي ضياء جبيلي: الحركة الثقافية لدينا خاملة ولا تلبي الطموحات. أُسترجعت في تاريخ ٣ يوليو، ٢٠٢٥، العين الإخبارية https://al-ain.com/article/iraq-art-award .

الخزاعي، أحمد عواد. (٢٠١٧، يونيو). "حديقة الأرامل.. أنسنة الواقع وأزمة الهوية". موقع الكتابات.

سابق، مديحة. (٢٠٢٠). سيمياء الشخصية في روايات "عز الدين جلاوجي"". مجلة المعيار، ٢٤(٥١)، ٨٤٢-٨٥٠.

السلمان، حسن. (٢٠٢١، ١٩ فبراير). "الفانتازيا الواقعية في قصص حديقة الأرامل". جريدة الصباح.

العابد، عبد المجيد. (٢٠٠٩). مباحث في السيميائيات، المغرب: دار النشر القرويين.

عبد الرحمن، كمال. (٢٠٢١، ٧ سبتمبر). المهمشون في روايات ضياء جبيلي. أُسترجعت في تاريخ ٤ يوليو، ٢٠٢٥، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق https://iraqiwritersunion.com/795-.html .

عبد الغني، عبدالله، ومحمد، كامل. (٢٠٢٤). سيميائية الشخصية في رواية "أوراق شمعون المصري" لأسامة الشاذلي .مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد، ٢٩، ٤٧-١.

عبد الكريم، ولاء إسماعيل. (٢٠٢٥). الوظائف الثقافية في سردية الهامش رواية (ساق الفرس) ضياء جبيلي اختياراً .مجلة دراسات البصرة، ٢٠(٥٩)، ١٠٤-٨٧.

عبد علي حسن. (٢٠١٧، ٢٣ سبتمبر). "حديقة الأرامل".. التناص وتأويل الواقع. موقع الأرشيف العراقي.

العتيبي، موضي. (٢٠١٧، ١٤ أكتوبر) .قراءة في رواية المشطور.. ست طرائق غير شرعية لاجتياز الحدود نحو بغداد. أُسترجعت في تاريخ ٧ يوليو، الجزيرة.

فضل، خديجة رحم. (٢٠٢٢). المهمشون في روايات ما بعد التغيير (٢٠٠٣): ضياء جبيلي أنموذجاً، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة.

مرتاض، عبد الملك. (١٩٩٨). في نظرية الرواية. الكويت: عالم المعرفة.

المنصوري، محمد علاء. (٢٠٢٠). ضياء جبيلي: دراسة في منجزه السردي، رسالة ماجستير،كلية التربية، جامعة البصرة، العراق.

هينكل، روجر. (٢٠٠٥). قراءة الرواية، ترجمة: صلاح رزق، القاهرة: دار غريب.